

REC



32101 027315546

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.





32101 027315546



magrīzī



تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ الْمَفِيدِ

للشيخ الامام تقي الدين أحمد بن علي المقرئ

المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية



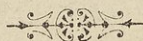
عُنيبت بتصحيحه والتعليق عليه ونشره

للمرة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الله الدمشقي

بمصر بشارع الكهكيين نمرة ١



قوبل على نسختين مختلفتي التاريخ

حقوق الطبع محفوظة لها

مطبعة الشرق

لصاحبها: عبد العزيز فايد وأخيه

بجارية المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * وصلى الله على نبينا محمد
خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فهذا كتاب جمّ الفوائد بديع الفرائد ينتفع به من أراد
الله والدار الآخرة سميته تجريد التوحيد المفيد والله أسأل العون على
العمل به بمنه

إعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيء ومالكة وإلهه : فالرب
مصدر ربّ يَرْبُّ رَبًّا فهو رَبٌّ : فغنى قوله تعالى (رَبِّ الْعَالَمِينَ) رَبُّ
العالمين فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم
وإصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين
ودنيا * والالهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه
بالحب والخوف والرجاء والاختبات والتوبة والنذر والطاعة والطاب
والتوكل ونحو هذه الأشياء فإن التوحيد حتميته أن ترى الأمور
كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات الى الأسباب والوسائط فلا
ترى الخير والشر الا منه تعالى وهذا المقام يشمر التوكل وترك شكاية



32101 027315546

تجريد التوحيد المفيد

الخلق وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه :
واذا عرفت ذلك فاعلم ان الربوبية منه تعالى لعباده والتأله من
عباده له سبحانه كما ان الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل * واعلم
أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له
قشران * الاول أن تقول بلسانك لا إله الا الله ويسمى هذا القول
توحيداً وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى وهذا التوحيد
يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سره جهره * والقشر الثاني أن
لا يكون في القلب مخالفة ولا انكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل
القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس *
ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات الى
الوسائط وأن يعبد سبجانه عبادة يفرد بها ولا يعبد غيره : ويخرج
عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه
معبوده : قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)
واذا تأملت عرفت ان عابد الصنم لم يعبد انما عبد هواه وهو
ميل نفسه الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل : وميل النفس الى المألوفات
أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى : ويخرج عن هذا التوحيد السخط على
الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على
غيره أو يأمل سواه : وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب أن
توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم

وخالق السموات والأرض والقائم بمصالح العالم كله وانما أنكروا
توحيد الالهية والمحبة كما قد حكي الله تعالى عنهم في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)
فلما سواوا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما قل الله تعالى (الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) وقد علم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك
في توحيد الالهية وانه تعالى حقيق بافراده وليا وحكما ور بافقال تعالى (قُلْ
أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَايًّا) وقال (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا) وقال (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ
أَبْغِي رَبًّا) فلا ولي ولا حكم ولا رب الا الله الذي من عدل به غيره فقد
اشرك في ألوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت
فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الالهية مفرق الطارق بين المؤمنين
والمشركين ولهذا كانت كلمة الاسلام لا إله الا الله ولو قال لارب الا الله
لما اجزأه عند المحققين * فتوحيد الالهية هو المطلوب من العباد ولهذا
كان اصل الله الأله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور
اصحابه الا من شذ منهم :

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الأله وانه المحبوب لاجتماع صفات
الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات
العليا وهو الذي ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم
بتوحيدهم ربوبيته على توحيد الوهيته كما قل الله تعالى (قُلْ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ

وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ
وَكَلَّمَ ذَكَرَ تَعَالَى مِنْ آيَاتِهِ جَمْعًا مِنَ الْجَمَلِ قَالَ عَقِبَهَا إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ فَبَانَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى بِذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَمَّا كَانُوا يَتَوَقَّفُونَ فِي اثْبَاتِ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ
لَا الرُّبُوبِيَّةِ عَلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَشْرَكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ كَمَا بَيَّنَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى:
وَبِالْجَمْلَةِ فَهُوَ تَعَالَى يَحْتَجُّ عَلَى مُنْكَرِي الْإِلَهِيَّةِ بِاثْبَاتِهِمُ الرُّبُوبِيَّةَ: وَالْمَلِكُ هُوَ
الْأَمْرُ النَّاهِي الَّذِي لَا يَخْلُقُ خَلْقًا بِمُقْتَضَى رُبُوبِيَّتِهِ وَيَتْرَكُهُمْ سُدَىٰ مَعْطَايِنِ
لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يَنْهَوْنَ وَلَا يَشَابُونَ وَلَا يَعَاقِبُونَ فَإِنَّ الْمَلِكُ هُوَ الْأَمْرُ النَّاهِي
الْمُعْطَى الْمَانِعَ الضَّارَّ النَّافِعَ الْمُثِيبَ الْمُعَاقِبَ وَلِذَلِكَ جَاءَتْ الْإِسْتِعَاذَةُ فِي سُورَةِ
النَّاسِ وَسُورَةِ الْفَلَقِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الثَّلَاثَةِ الرَّبِّ وَالْمَلِكِ وَالْإِلَهِ فَانْهَ لَمَّا
قَالَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) كَانَ فِيهِ اثْبَاتٌ أَنَّهُ خَالِقُهُمْ وَفَاطَرُهُمْ فَبَقِيَ أَنَّ
يُقَالُ لَمَّا خَلَقَهُمْ هَلْ كَلَّفَهُمْ وَأَمْرُهُمْ وَنَهَاهُمْ قِيلَ نَعَمْ فَجَاءَ (مَلِكِ النَّاسِ) فَاثْبَتَ
الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ وَالْإِلَهَ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ فَلَمَّا قِيلَ ذَلِكَ قِيلَ فَإِذَا كَانَ رَبًّا مُوجِدًا
وَمَلِكًا مُكَلَّفًا فَهَلْ يَجِبُ وَيُرْغَبُ إِلَيْهِ وَيَكُونُ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ غَايَةً الْخَلْقِ
وَالْأَمْرِ قِيلَ (إِلَهُ النَّاسِ) أَيَّ مَأْلُوهُمْ وَمُحِبُّوهُمْ الَّذِي لَا يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ إِلَى الْخَلْقِ
الْمُكَلَّفِ الْعَابِدِ إِلَّا لَهُ فَجَاءَتْ الْإِلَهِيَّةُ خَاتِمَةً وَغَايَةً وَمَا قَبْلَهَا كَالْتَوَطُّئَةِ لَهَا
وَهَاتَانِ السُّورَتَانِ أَكْثَرُ عَوْدَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَجَاءَتْ الْإِسْتِعَاذَةُ بِهِمَا وَقْتُ

الحاجة الى ذلك وهو حين سحر النبي صلى الله عليه وسلم وخيل اليه انه يفعل
الشيء صلى الله عليه وسلم وما فعله واقام على ذلك اربعين يوماً كما في الصحيح (١)

(١) وهو في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها « قالت سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخيل اليه انه كان يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم او ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعاهم قال يا عائشة اشعرت ان الله اقتناني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال في اى شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤس نخلها رؤس الشياطين قلت يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس فيه شراً فامر بها فدفنت » هذا لفظ البخارى : وقد اختلف العلماء في سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قديماً وحديثاً فذهب الجمهور الى جواز ذلك ووقوعه وانه لا يخالف العصمة فلا يناق الحديث قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) لان سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من جنس ما كان يعتريه صلى الله عليه وآله وسلم من الاستئمان والافجاء وهو مرض من الأمراض واصابته به كصابته بالسحر لافرق بينهما يدل له قوله صلى الله عليه وآله وسلم في اخر الحديث « قد عافاني الله » قال ابن القيم في المهدى قال القاضي عياض والسحر مرض من الأمراض وعارض من المال يجوز عليه صلى الله عليه وآله وسلم كاتواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته وأما كونه يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروء عليه في امر دنياه التي لم يعمت لسببها ولا فضل من احبها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فقير بعيد انه يخيل اليه من امورها مالا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان : فكان غاية هذا السحر فيه صلى الله عليه وآله وسلم انه خيل اليه انه هو في جسده وظاهر جوارحه لافي عقله وقلبه ولذلك لم يكن يستقد صحة ما يخيل اليه بل يعلم انه خيال لاحقيقة له : ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض : وقد ذهب طائفة من المتقدمين الى انه لا يجوز ذلك عليه صلى الله عليه وآله وسلم وان هذا نقص في حقه صلى الله عليه وآله وسلم وعيب وهو يناق قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ومن المتأخرين الشيخ محمد عبده المصرى واطب القول في رد سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفيه في تفسيره جزم : وحاصل كلامه فيه ولا يخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به

وكانت عقد السحر احدى عشرة عقدة فنزل الله المعوذتين احدى عشرة آية فانحلت، بكل آية عقدة وتعلقت الاستعاذة في اوائل القرآن باسمه الاله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه ومناجات العبد لهذا الاله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب اليه في ان يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق باسم الاله في جميع المواطن الذي يقال فيها (أعوذ بالله

الأمر الى ان يظن انه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور المادية بل هو ماس بالعقل اخذ بالروح وهو ممن يصدق قول المشركين فيه (ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً) وليس المسحور عندهم الا من خولط في عقله وخيل اليه ان شيئاً يقع وهو لا يقع فيخيل اليه انه يوحى اليه ولا يوحى اليه : والذي يجب اعتقاده ان القرآن مقطوع به وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه واله وسلم فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت به وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين اعدائه ووتجهمهم على زعمهم هذا فاذا هوليس بمسحور قطعاً : وأما الحديث فملى فرض صحته آحاد والا حاد لا يؤخذ بها في ذب العقائد : وعصمة النبي صلى الله عليه واله وسلم في تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون على ان الحديث الذي يصل اليينا من طريق الاحاد انما يحصل الظن منه من صح عندنا من قامت له الأدلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة : وعلى اى حال فننا بل علينا ان نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه اذا خولط النبي صلى الله عليه واله وسلم في عقله كما زعموا جاز عليه ان يظن انه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه او ان شيئاً نزل عليه ولم ينزل عليه والامر ظاهر لا يحتاج الى بيان اه : والمسألة في ذاتها محل بحث وقد ترك كثير من المنتسبين الى المذاهب الاخذ ببعض الأحاديث التي وردت في صحيح البخارى او مسلم او غيرهما لقول امامهم في المذهب او لخالفها القياس فما هنا اولى لدفع شبه الملحدين وغيرهم وموافقة للقران القطعى في ذلك : واذا علمت هذا تعلم ان ماذهب اليه المصنف هو قول الجمهور : والله اعلم

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) لان اسم الله تعالى هو الغاية للاسماء ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرّف الا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرّف غير ها وغير ها لا يعرّفها: والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقا آخروا لم يقولوا انه آله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدريّة: وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية السكاملة المطلقة الشاملة تبطل اقوالهم لانها تقتضى ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال: وحقيقة قول القدريّة المجوسية انه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيته اذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيتته وخلقه:

وشرك الأمّ كله نوعان شرك في الآلهية وشرك في الربوبية فالشرك في الآلهية والعبادة هو الغالب على اهل الاشراك وهو شرك عبادة الأصنام وعبادة الملائكة وعبادة الجن وعبادة المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك واقاربه وخاصته: والكتب الآلهية كلها من اوابها الى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح اهله وتنص على انهم أعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم الى آخرهم وما اهلك الله تعالى من الامم الا بسبب هذا الشرك ومن اجله: واصله الشرك في محبة الله تعالى

قال تعالى (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) فاجبر
 سبحانه وتعالى انه من احب مع الله شيئا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندأمن دونه
 وهذا على أصح القولين في الآية انهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو
 العدل المذكور في قوله تعالى (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) والمعنى
 على أصح القولين انهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين
 غيره في الحب والعبادة: وكذلك قول المشركين في النار لا صنماهم (تَاللَّهِ
 إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ومعلوم قطعاً ان هذه
 التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم فانهم كانوا كما
 اخبر الله عنهم مقرين بان الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم وان الأرض
 ومن فيها لله وحده وانه رب السموات السبع ورب العرش العظيم: وانه
 سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يحير ولا يجار عليه:
 وانما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن
 احب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه:
 فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله آثر عنده
 واحب اليه وأخوف عنده وهو في مرضاته اشد سعيًا منه في مرضاة
 الله فاذا كان المسوي بين الله وبين غيره في ذلك مشركا فما الظن بهذا
 فعياذا بالله من ان ينسأخ القلب من التوحيد والاسلام كانسأخ الحية
 من قشرها وهو يظن انه مسلم موحد فهذا احد أنواع الشرك: والأدلة

الدالة على انه تعالى يجب ان يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك
ويدحض حجج أهله وهو اكثر من ان يحيط بها الا الله بل كل ما خلقه
الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما أمر به خلقه وأمره
وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بان الله الذى لا إله الا
هو وان كل معبود سواه باطل وانه هو الحق المبين تقدس وتعالى:
وواعجبا كيف يعصى الآله * ام كيف يحجده الجاحد
ولله في كل تحريكة * وتسكينة ابدأ شاهد
وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد
والنوع الثانى من الشرك الشرك به تعالى فى الربوبية كشرك من
جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بان للعالم ربين احدهما
خالق الخير ويقولون له باسان الفارسية يزدان^(١) والاخر خالق الشر
ويقولون له المجوس بلسانهم اهر من : وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون
بانه لم يصدر عنه الا واحد بسيط وان مصدر المخلوقات كلها عن العقول
والنفوس وان مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل ماتحته ومدبره
وهذا اشرك من شرك عبادة الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث
شرك فى العالم اذ يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واستناد
الخلق الى غيره سبحانه وتعالى مالم يتضمنه شرك أمة من الأمم : وشرك
القدرية مختصر من هذا وباب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة

(١) وقوله يزدان معناه الله : وقوله اهر من اى الشيطان

رضى الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وقد روى اهل السنن فيهم ذلك مرفوعا انهم مجوس هذه الأمة ^(١) وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد احدهما عن الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على اهل هذا الاشراك كقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فانه ينفي شرك المحبة والالهيّة وقوله (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فانه ينفي شرك الخلق والربوبية: فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وانه لا يجوز اشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الارادات فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى: والطواف بغير بيته المحرم: وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالى في الأرض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها ^(٢) وقد لمن

(١) لفظ رواية ابن عمر عند ابى داود وغيره « عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال القدرية مجوس هذه الأمة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم » قال الخطابي في شرح هذا الحديث في العالم انما جمعهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة ينعمون ان الخير من فعل النور والشر فعل الظلمة وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما الا بمشيئته وخلق الشر شرًا في الحكمة كخلق الخير خيرا فان الأمرين جميعا مضافان اليه خلقا وابتدأا والى الفاعلين لهما فعلا واكتسابا اه: وقال الحافظ المنذرى هذا منقطع ابى حازم سلمة ابن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روى هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس منها شيء يثبت اه: وقد تقبى الحافظ ابن حجر وقال هذا الحديث حسنه الترمذى وصححه الحاكم ورجاله من رجال الصحيح: والله اعلم

(٢) خرج ابو نعيم في الحلية من حديث فضيل بن عياض قال سمعت عبد الملك بن جريج يقول حدثني عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما نال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الذي صلى الله عليه وآله وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد
يصلى فيها فكيف من اتخذ القبور أو ثنائنا تعبد من دون الله تعالى فهذا لم
يعلم معنى قول الله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وفي الصحيح عنه صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال «لن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبياءهم مساجد
يحذر ما صنعوا» ^(١) وفيه عنه ايضا «ان من شرار الناس من تدر كهم
الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» ^(٢) وفيه ايضا عنه صلى
الله عليه وآله وسلم «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا
فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك» وفي مسند الامام احمد
وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وآله وسلم «لعن الله زوارات القبور
والمخذين عليها المساجد والسرج» ^(٣) وقال «اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبياءهم مساجد» وقال «ان من كان قبلكم كانوا اذا مات
فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور
اولئك شرار الخلق عند الله» ^(٤) والناس في هذا الباب اغنى زيارة القبور
على ثلاثة أقسام: قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هي الزيارة الشرعية:
وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون في الألوهية والمحبة* ووقوم

«لا توضع النواصي الا الله تعالى في حج او عمرة فمأوى ذلك فثمة» قال ابو نعيم غريب
من حديث الفضيل لم نكتبه الا من هذا الوجه:

- (١) الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة ورواه أيضا الإمام احمد بن حنبل
- (٢) رواه الإمام احمد بن حنبل في مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود :
- (٣) رواه ايضا أبو داود والنسائي والترمذي عن ابن عباس :
- (٤) الحديث في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها

يزورونهم فيدعونهم انفسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » * وهوؤلاء المشركون في الربوبية وقد حى النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقاً لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين لكونه ذريعة الى التشبيه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين : وسد الذريعة بان منع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين الذين يسجد المشركون فيهما للشمس :

واما السجود لغير الله فقد قال عليه الصلاة والسلام * لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله * ولا ينبغي^(١) في كلام الله ورسوله انما يستعمل للذى هو في غاية الامتناع كقوله تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) وقوله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وقوله تعالى (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) وقوله تعالى (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)

ومن الشرك بالله تعالى المبين لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الامام احمد وابوداود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » صححه الحاكم وابن حبان قال ابن حبان أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي

(١) قوله لا ينبغي مبدا خبره قوله انما يستعمل

ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعي عن سعيد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنه فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر رضي الله عنه ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حلف بغير الله فقد اشرك » * ومن الاشراك قول القائل لاحد من الناس ماشاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال اجعلني لله نداً قل ماشاء الله وحده » هذا مع ان الله تعالى قد اثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك وما لي الا الله وأنت : وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك : والله لي في السماء وانت لي في الارض : وزن بين هذه الالفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من ماشاء الله وشئت ثم انظر ايها الخشيتين لك ان قائلها أولى بالبعد من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وبالجواب ^(١) من النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نداً فهذا قد جعل من لا يدايه لله نداً : وبالجمله فالعبادة المذكورة في قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هي السجود والتوكل والابانة والتقوى والخشية والتوبة والندور والامان والتسبيح والتكبير والتلهيل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى * وفي مسند الامام احمد

(١) معطوف على قوله بالبعد يعني اولى بالجواب الخ :

« ان رجلا أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله » واخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود ابن سريع وقال حديث صحيح : واما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يبق بحقيقة قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فان (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هى الحنيفية ملة ابراهيم التى امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهى حقيقة الاسلام (وَمَنْ يَدْنِغْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فاستمسك بهذا الاصل ورد ماخرجه المبتدعة والمشركون اليه تتحقق معنى الكلمة الالهية * فان قيل الشرك انما قصد تعظيم جناب الله تعالى وانه لعظمته لا ينبغى الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد تعظيمه وقال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وانما أعبد هذه الوسائط لتقربنى اليه وتدخل بى عليه فهو الغاية وهذه وسائل فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا فى النار وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وهل يجوز فى العقل ان يشرع الله تعالى لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد بالشرع فقط ام ذلك قبيح فى الشرع والعقل يمنع ان تأتى به شريعة من الشرائع وما السر فى

كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى (إِنْ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) قلنا الشرك شرك كان * شرك يتعلق بذات المعبود واسماؤه وصفاته وافعاله * وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته : واما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشارنا اليه الآن وسنشبع الكلام فيه ان شاء الله تعالى :

اما الشرك الأول فهو نوعان * أحدهما شرك التعطيل وهو اقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) وقال (يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته ولكنه معطله حق التوحيد :

واصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام أحدها تعطيل المصنوع عن صانعه : الثاني تعطيل الصانع عن كماله الثابت له : الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد : ومن هذا شرك اهل الوحدة : ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة الى اسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونها المقول والنفوس : ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات

كالجهمية^(١) والقرامطة وغلاة المعتزلة * النوع الثاني شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه الها آخر كائنصارى في المسيح واليهود في عزيز والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة: وشرك القدريّة المجوسية مختصر منه وهؤلاء اكثر مشركى العالم وهم طوائف حجة منهم من يعبد اجزاء سماوية: ومنهم من يعبد اجزاء ارضية ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده اكبر الالهة: ومنهم من يزعم ان الهه من جملة الالهة: ومنهم من يزعم انه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه اقبل اليه واعتنى به: ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى الأعلى الفوقانى والفوقانى يقربه الى من هو فوقه حتى يقربه تلك الالهة الى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل:

فازا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من اشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والارادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال * فنقول اعلم ان حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالخلق وتشبيه الخلق بالخالق: اما الخالق فان المشرك شبه الخلق بالخالق في خصائص الالهية وهى التفرد بملك الضر والنفع والعطاء

(١) نسبة الى جهنم بن صفوان ظهرت بدعته بترمد وقتله سالم بن احوز المارنى بمرور فى آخر ملك بنى أمية: وأصل مقالة التعطيل للصفات والأسماء مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركون وضلال الصابئين: واول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة فى الاسلام الجعد بن درهم واخذها عنه الجهم بن صفوان واظهرها فنسبت اليه: قيل ان الجعد اخذ مقالته بالتعطيل عن ابان بن سمان واخذها ابان عن طلوت بن اخت لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر:

والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الأرباب فإى فجور وذنوب أعظم من هذا

واعلم ان من خصائص الالهية الكمال المطابق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده عقلا وشرعا وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرحمة انه لا يغفره ابداً * ومن خصائص الالهية العبودية التى لا تقوم الا على ساق الحب والذل فمن اعطاها لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى فى خالص حقه وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين فطرا اكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا كما روى ذلك عن الله اعرف الخلق به وبخالقه عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً * ومن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به: ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به: ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به: ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به: ومنها الدبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به: ومنها حلق الرأس الى غير ذلك:

هذا فى جانب التشبيه واما فى جانب التشبه فمن تعاضم وتكبر ودعى الناس الى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه فى ربوبيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت اقدام

خلقه : وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله عز وجل العظمة ازارى والكبرياء ردأتى فمن نازعنى في واحد منهما عذبتة » ^(١) واذا كان المصور الذى يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه بالله فى الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم » ^(٢) وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة

(١) الحديث اخرجه مسلم من رواية أبى سعيد الخدرى وابى هريرة بلفظ « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبتة » ورواه البرقاني فى مستخرجه من الطريق الذى اخرجه مسلم ولفظه « يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردأتى فمن نازعنى شيئاً منهما عذبتة » * ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بلفظ « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردأتى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحداً منهما فدفته فى النار » : ومعنى نازعنى تخلق بذلك فيصير فى معنى المشارك : قال الخطائى فى المعالم معنى هذا الكلام ان الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى واختص بهما لا يشركه احد فيهما ولا ينبغي لمخلوق ان يتعاطاهما لان صفة لمخلوق التواضع والتذلل : وضرب الرداء والازار مثلاً فى ذلك يقول والله اعلم كما لا يشرك الانسان فى رداءه وازاره فكذلك لا يشركنى فى الكبرياء والعظمة مخلوق : والله اعلم

(٢) الحديث فى الصحيحين « عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ورواه النسائى أيضاً : وهذه الرواية لا يرد عليها شيء : وفى رواية لمسلم « ان من أشد اهل النار يوم القيامة عذاباً المصورون » وعليها يرد الاشكال النجوى من رفع اسم ان والجواب عنه : وفى الباب احاديث كثيرة تفيد تحريم التصوير وعلة النهى ظاهرة : وقد بينا الحكم فى ذلك والرد على من اباحه من المنتسبين الى العلم فى زماننا هذا فى تعليقنا على عمدة الاحكام فانظره : وقوله احيوا ما خلقتم اي اجملوه حيواناً ذاروح وهذا الامر يسمى امر تمييز : ومعنى خلقتم قدرتم وصورتم :

فليخلقوا شعيرة»^(١) فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منهما : وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي الا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضى القضاة ونحوه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان أخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك الا الله» وفي لفظ «أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك»^(٢) وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن انه اذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير اليه تعالى فانه يخطيء لسكونه شبهه به واخذ ما لا ينبغي ان يكون الا له فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه فهذا قبيح عقلا وشرعا ولذلك لم يشرع لمويعقر لفاعاله واعلم ان الذى ظن ان الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له او لا يستجيب له الا بواسطة تطلعه على ذلك او تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فانه ان ظن انه لا يعلم او لا يسمع الا باعلام غيره له واسماؤه فذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال ادراكه وكفى بذلك ذنباً : وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج الى من يلينه ويعطفه عليهم فقد اساء الظن بافضال ربه

(١) الحديث في الصحيحين مطولا عن ابى هريرة : وقوله «ومن اظلم» اى ولا احد اظلم ممن قصد حال كونه يخلق اى يصنع : والذرة بفتح الدال المعجمة وتشديد الراء النملة الصغيرة : والغرض تمجيزهم تارة بخلق الجاد وأخرى بخلق الحيوان :

(٢) هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « قال ان أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الاملاك » زاد ابن أبى شيبة فى روايته « لا مالك الا الله عز وجل » قال الاشعثى قال سفيان مثل شاهان شاه : وقال احمد بن حنبل سألت ابا عمرو عن أخنع فقال أوضع :

وبره واحسانه وسعة جوده * وبالجملة فاعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة
الظن به ولهذا يتوعدكم في كتابه على اساءة الظن به اعظم وعيد كما قال الله
تعالى (الظَّانِّينَ بِاللّٰهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللّٰهُ
عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) وقال تعالى عن
خليفة ابراهيم عليه السلام (اِنَّكُمْ كَاٰلِهَةً دُونَ اللّٰهِ تُرِيدُونَ فَاَظَنُّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) اى فما ظنكم ان يجازيكم اذا عبدتم معه غيره وظننتم انه
يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عبادته لمن يكون باباً لاجوائج اليه
ونحو ذلك : وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون الى الوسائط ضرورة
لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن ادراك حوائج المضطرين :
فاما من لا يشغله سماع عن سماع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه
الرحمة فما تصنع الوسائط عنده فن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد
ظن به أقبح الظن ومستحيل ان يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع فى
العقول والفطر :

واعلم ان الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح
فى نفسه كما قررناه لاسيما اذا كان المجمعول له ذلك عبداً للملك العظيم
الرحيم القريب المحيى ومملوكا له كما قال تعالى (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مِّنْ اَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّمَّا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فَيَأْزُقْنَكُمْ
فَاَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ اَنْفُسَكُمْ) اى اذا كان احدكم

يَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ مَمْلُوكُهُ شَرِيكُهُ فِي رِزْقِهِ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِي مِنْ عِبِيدِي
شُرَكَاءَ فِيمَا أَنَا مِنْفَرِدُ بِهِ وَهُوَ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِي وَلَا تَصْلَحُ لِسِوَايَ فَمَنْ
زَعَمَ ذَلِكَ فَمَا قَدَرْنِي حَقَّ قَدْرِي وَلَا عَظَمْنِي حَقَّ تَعْظِيمِي * وَبِالْجُمْلَةِ فَمَا قَدَرُ
حَقَّ قَدْرِهِ مِنْ عَبْدٍ مَعَهُ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُوَصِّلُ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ
مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) الْآيَةُ
إِلَى أَنْ قَالَ (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) وَقَالَ تَعَالَى
(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) فَمَا قَدَرُ
الْقَوِي الْعَزِيزِ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ الضَّعِيفَ الذَّلِيلَ :

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ جَمِيعَ طَوَائِفِ الضَّلَالِ وَالْبِدَعِ وَجَدْتَ أَصْلَ
ضَلَالِهِمْ رَاجِعًا إِلَى شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا الظَّنُّ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ : وَالثَّانِي لَمْ يَقْدِرُوا
الرَّبَّ حَقَّ قَدْرِهِ فَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مِنْ ظَنِّ أَنَّهُ لَمْ يَرْسُلْ رَسُولًا وَلَا
أَنْزَلَ كِتَابًا بَلْ تَرَكَ الْخَلْقَ سَدًى وَخَلَقَهُمْ عَبَثًا وَلَا قَدْرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مِنْ
نَفْيِ عَمُومِ قُدْرَتِهِ وَتَعَلُّقِهَا بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ وَأَخْرَجَهُمَا
عَنْ خَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ وَلَا قَدْرَ اللَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ اضْطِدَادَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا أَنَّهُ
يَمَاقِبُهُ عَبْدُهُ عَلَى مَا لَمْ يَفْعَلْهُ بَلْ يَمَاقِبُهُ عَلَى فَعْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : وَإِذَا اسْتَحَالَ
فِي الْعُقُولِ أَنْ يَجْبَرَ السَّيِّدُ عَبْدَهُ عَلَى فَعْلٍ ثُمَّ يَمَاقِبُهُ عَلَيْهِ فَكَيْفَ يَصْدُرُ هَذَا
مِنْ أَعْدِلِ الْعَادَائِينَ : وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ أَشْبَاهِ الْمَجُوسِ الْقَدَرِيَّةِ
الْأَذَلِّينَ : وَلَا قَدْرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مِنْ نَفْيِ رَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ وَغَضَبِهِ

وحكمته مطلقا وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا بل افعاله مفعولات منفصلة عنه : ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً او جعله يحل في مخلوقاته او جعله عين هذا الوجود : ولا قدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع اولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة : وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين انه ارسل ملاكاً لما فادى النبوة وكذب على الله ومكث زمناً طويلاً يقول امرنى بكذا ونهانى عن كذا ويستبيح دماء ابناء الله واحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق واجسادهم اليه ويقيم دولته على الظهور والريادة ويذل اعدائه اكثر من ثمان مائة عام : فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجرد القولين سواء : ولا قدره حق قدره من زعم انه لا يحيى المرقى ولا يبعث من في القبور ليعين اعباده الذى كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين :

وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود ان كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى (اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ يَا بَنِي اٰدَمَ اَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) فما عبد احداً من بني آدم كائن من كان الا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال

تعالى (وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ عَشْرِ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ)
 اى من اغوائهم وإضلالهم (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ
 بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
 خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فهذه اشارة لطيفة
 الى السر الذى لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفر بغير
 التوبة منه وانه موجب للخلود فى العذاب العظيم وانه ليس تحريره
 قبجه بمجرد النهى عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى ان
 يشرع لعباده عبادة اله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله
 ونعوت جلاله :

واعلم ان الناس فى عبادة الله تعالى والاستعانة به اقسام اهلها وافضلها
 اهل العبادة والاستعانة بالله عليها : فعبادة الله غاية مرادهم : وطلبهم
 منه ان يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ولهذا كان افضل
 ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذى علمه النبي صلى الله
 عليه وسلم لما عاذ بن جيل « فقال يا معاذ والله اني احبك فلا تدع ان تقول
 فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(١)
 فانفع الدعاء طالب العون على مرضاته تعالى : ويقابل هؤلاء القسم الثانى
 المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان

(١) خرجه ابو داود واحمد بن حنبل ورواه النسائى بسند قوى على ما قاله ابن حجر فى كتابه باوغ المرام من ادلة الاحكام :

سأله تعالى احدى واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والارض ويسأله اولياؤه واعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء وابغض خلق الله ابليس ومع هذا أجاب سؤله وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة فى شقوته وبعده: وهكذا كل من سأله تعالى استعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم ان اجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله والانسان على نفسه بصيرة :

وعلمة هذا انك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر اذا رآه سبحانه وتعالى يقضى حوائج غيره يسئ ظنه به تعالى وقابه محشو بذلك وهو لا يشعر: وامارة ذلك حمله على الأقدار وعتابه فى الباطن لها واتقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف فى قوله تعالى (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا) اى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمه وما ذاك لكرامته على ولكنه ابتلاء منى وامتحان له ايشكرنى فأعطيه فوق ذلك ام يكفرنى فاسلبه اياه واحوله عنه لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هو انه على ولكن ابتلاء وامتحان

منى له أئصبر فاعطيه اضعاف مافاته أم يسخط فيكون حظه السخط:
وبالجملة فاعبر تعالى ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة
الرزق وتقديره فانه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر
على المؤمن لالهوانه عليه وانا يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده
بان يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانتة : فغاية سعادة الأبد في
عبادة الله والاستعانة به عليها :

القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان : احدهما
اهل القدر القائلون بانه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره
من الألفاف وانه لم يبق في مقدوره اعانة له على الفعل فانه قد أعانه
بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وارسال الرسول وتمكينه
من الفعل فلم يبق بمدما اعانة مقدورة يسأله اياها وهؤلاء مخذولون
موكلون الى أنفسهم مسدود عليهم طريقة الاستعانة والتوحيد : قال
ابن عباس رضى الله عنهما الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله
وكذب بقدره نقض توحيده : النوع الثانى من لهم عبادة واوراد ولكن
حظهم ناقص من التوكيل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب
بالقدر وانهما بدون المقدور كالموت الذى لا تأثير له بل كالعدم الذى
لا وجود له وان القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول فلم
تنفذ بصائرهم من السبب الى المسبب ومن الآلة الى الفاعل فقل نصيبهم
من الاستعانة : وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم

وتوكلهم ونصيب من الضعف واخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم
ولو توكل العبد على الله حق توكله في ازالة جبل عن مكانه لازاله :

فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملا قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل
وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرد به بالخلق والأمر
والتدبير والضر والنفع وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب اعتمادا
عليه وتفويضا اليه وثقة به فتصير نسبة العبد اليه تعالى كنسبة الطفل
الى ابويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ماعسى ان يدعوه من
الآفات لم ياتجىء الى غيرهما : فان كان العبد مع هذا الاعتماد من اهل
التقوى كانت له العاقبة الحميدة (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَرَكَ عَلَى اللَّهِ فُحُوْا حِسْبُهُ) أى كافيهِ
القسم الرابع من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله
بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه فتوكل عليه في حظوظه فاسعفه
بها : وهذا لاعاقبة له سواء كانت اموالا او رياسات أو جاهها عند
الخلق او نحو ذلك فذلك حظاه من دنياه وآخرته :

واعلم ان العبد لا يكون متحققا بعبادة الله تعالى الا بأصلين *
احدهما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم * والثاني اخلاص العبودية :
والناس في هذين الأصلين على اربعة اقسام : اهل الاخلاص والمتابعة
فاعمالهم كلها لله واقوالهم ومنعهم واعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله
تعالى لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا أعدوا الناس كاصحاب القبور

لا يملكون ضرا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً : فانه لا يعامل
احداً من الخلق الا لجهله بالله وجهله بالخلق : والاخلاص هو العمل
الذى لا يقبل الله من عامل عملاً صواباً عادياً منه وهو الذى الزم عباده
به الى الموت قال الله تعالى (يَبْتَئُونَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وقال (إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)
واحسن العمل اخلاصه واصوبه : فالخالص ان يكون لله والصواب ان
يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو العمل
الصالح المذكور فى قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
وَهُوَ مُحْسِنٌ) وهو العمل الحسن فى قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) وهو الذى امر به النبى صلى الله عليه وسلم
فى قوله « كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد »^(١) وكل عمل بلا متابعة فانه
لا يزيد عامله الا بعدا من الله تعالى فان الله تعالى انما يعبد بامرہ لا
بالأهواء والآراء *

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها بالفظ « قالت قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » وفى رواية لمسلم « من عمل
عملاً ليس عليه امرنا فهو رد » وأخرجه أيضاً أبو داود وابن ماجه : وهذا الحديث اصل
عظيم من اصول الاسلام فكل عمل لا يكون عليه امر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل
من أحدث فى الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس فى الدين فى شىء هذا منطوق الحديث
ومفهومه كل عمل عليه امره فهو غير مردود : والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه : وفيه إشارة
الى ان اعمال العاملين كلهم ينبغى ان تكون تحت احكام الشريعة فتكون احكام الشريعة حاكمة
عليها بامرها ونهيها فن كان عمله جارياً تحت احكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول ومن كان
خارجاً عن ذلك فهو مردود : والله اعلم

الضرب الثاني من لا اخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار الخلق
 وهم المتزينون باعمال الخير يراؤن بها الناس وهذا الضرب يكثر فيمن
 انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين الى الفقه والعلم والفقر والعبادة
 فانهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحيون ان يحمدا
 بما لم يفعلوا: وفي اضراب هؤلاء نزل قوله تعالى (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
 يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ
 بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

الضرب الثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر
 كجهال العبادة والمنتسبين الى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير
 مراده: والشأن ليس في عبادة الله فقط بل في عبادة الله كما أراد الله: ومنهم
 من يمكث في خلواته تاركا للجمعة ويرى ذلك قرينة ويرى مواصلة صوم
 النهار والقيام بالليل قرينة وان صيام يوم الفطر قرينة وامثال ذلك

الضرب الرابع من أعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله تعالى
 كطاعات المرائين: وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغم
 ويحج ليقال ويقرأ ليقال ويعلم ويؤلف ليقال فهذه اعمال صالحة لكنها
 غير مقبولة قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
 حُنَفَاءَ) فلم يؤمر الناس الا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها:
 والقائم بهما هم اهل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

ثم اهل مقام (اِيَّاكَ نَعْبُدُ) لهم في افضل العباداة وانفعها وأحقها بالايثار والتخصيص اربعة طرق وهم في ذلك اربعة اصناف * الصنف الاول عندهم انفع العبادات وافضلها اشقها على النفوس واصعبها قالوا لانه ابعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والأجر على قدر المشقة ورووا حديثا ليس له اصل «افضل الأعمال احمرها» اي اصعبها واشقها وهؤلاء هم ارباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا وانما تستقيم النفوس بذلك اذ طبعها الكسل والمهاونة والاخلاد الى الراحة فلا تستقيم الا بركوب الأهوال وتحمل المشاق * الصنف الثاني قالوا افضل العبادات وانفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكثرات لما هو منها : ثم هؤلاء قسمان فعوامهم ظنوا ان هذا غاية فشمروا اليه وعلموا عليه وقالوا هو افضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها وخواصهم رأوا هذا مقصودا لغيره وان المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والانابة اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا افضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان : ثم هؤلاء قسمان فالعارفون اذا جاء الأمر والنهي بادروا اليه ولو فرقهم وذهب جمعهم والمنحرفون منهم يقولون المقصود من القلب جميعته فاذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا اليه ويقولون

يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل اوقاته ورد

ثم هؤلاء ايضا قسما منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيةته :
ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيةته :
والحق ان الجمعية حظ القلب : واجابة داعي الله حق الرب فمن آثر حق
نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء * الصنف الثالث رأوا ان
افضل العبادات ما كان فيه نفع متعدد فأرواه افضل من النفع القاصر
فأروا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم
ومساءدتهم بالجاه والمال والنفع افضل لقوله صلى الله عليه وسلم
« اخلاق عيال الله واجبهم الى الله انفعهم لعياله » ^(١) قالوا وعمل العابد
قاصر على نفسه وعمل النفع متعدد الى الغير فاين احدهما من الآخر :
ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب : وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي « لان يهدي الله بك
رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ^(٢) وقال « من دعى الى هدى كان له
من الأجر مثل أجور من تبعه من غير ان ينقص من أجورهم شيئا » ^(٣)
وقال « ان الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير » ^(٤) وقال « ان

(١) رواه الطبراني في معجمه :

(٢) رواه ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله عن سهل بن سعد ورواه
الطبراني في المعجم الكبير عن ابي رافع بإفظ « لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما
طلعت عليه الشمس وغربت »

(٣) هو في صحيح مسلم عن ابي هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال
من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا
ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »

(٤) الحديث رواه الترمذي عن ابي امامة مطولا وقال حديث حسن صحيح : ورواه

العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر
والنملة في جحرها « قالوا وصاحب العبادۃ اذا مات انقطع عمله وصاحب
النفع لا ينقطع عمله مادام نفعه الذي تسبب فيه : والأنبیاء علیهم الصلاة
السلام انما بعثوا بالاحسان الى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم
لم يبعثوا بالخلوات والانتقطاع ولهذا انكر النبي صلى الله عليه وسلم على
أولئك النفر الذين هموا بالانتقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس : ورأى
هؤلاء ان التفرغ لنفع الخلق افضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا
ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة :

الصنف الرابع قالوا افضل العبادۃ العمل على مرضاة الرب سبحانه
وتعالى واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته : فأفضل
العبادات في وقت الجهاد الجهاد وان آكل الى ترك الاوراد من صلاة
الليل وصيام النهار بل من ترك اتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمان :
والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به : والأفضل
في وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء : والأفضل في
وقت الآذان ترك ما هو فيه من الاوراد والاشتغال باجابة المؤذن :
والأفضل في اوقات الصلوات الخمس الجهد والاجتهاد في ايقاعها على

البزار من حديث عائشة ؓ « قال معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر »
وقد ورد في مدح العلم والعلما أحاديث كثيرة تبلغ حد التراتر : والمراد بالعلم العلم النافع
الذي تظهر آثاره بالانصاف به عملا وليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل
به والإخلاص :

أكمل الوجوه والمبادرة اليها في أول الوقت والخروج الى المسجد وان
بعد : والأفضل في اوقات ضرورة المحتاج المبادرة الى مساعدته بالجاه
والمال والبدن : والأفضل في السفر مساعدة المحتاج واعانة الرفقة
وايثار ذلك على الأوراد والخلوة : والأفضل في وقت قراءة القرآن
جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية
قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك : والأفضل في وقت
الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر : والأفضل في أيام
عشر ذى الحجة الاكثر من التعب لاسيما التكبير والتهليل والتحميد
وهو افضل من الجهاد الغير المتعين والأفضل في العشرة الاخر من
رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة
الناس والاشتغال بهم حتى انه افضل من الاقبال على تعليمهم العلم
واقراءهم القرآن عند كثير من العلماء : والأفضل في وقت مرض أخيك
المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خاوتك
وجمعيته : والأفضل في وقت نزول النوازل وايداء الناس لك اداء
واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على
أذاهم أو ايذاهم افضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على
أذاهم : وخلطتهم في اخير افضل من عزلتهم فيه وعزلتهم في الشر افضل
من خلطتهم فيه : فان علم انه اذا خالطهم أزاله^(١) وقلله خلطتهم خير من

(١) قوله ازاله وقلله اي الشر المنقذ ذكره قبل :

اعتزلهم وهؤلاء هم اهل التعبد المطلق والأصناف التي قبلهم اهل التعبد المقيد فتي خرج احدهم عن الفرع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضات الله تعالى : ان رأيت العلماء رأيتهم معهم وكذلك في الزاكرين : والمتصدقين وأرباب الجمعية وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للسائر الى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق : واستحضر ههنا حديث ابي بكر الصديق رضى الله عنه وقول النبي صلى الله عليه وسلم بحضوره « هل منكم احد اطعم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال هل منكم احد اصبح اليوم صائما قال ابو بكر انا قال هل منكم احد عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال هل منكم احد اتبع اليوم جنازة قال ابو بكر انا » ^(١) الحديث : هذا الحديث روى من طريق عبد الغنى بن ابي عقيل حدثنا نعيم ابن سالم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في جماعة من أصحابه فقال

(١) الحديث اخرجه ابن خزيمة في صحيحه واورده الحافظ عبد العظيم المنذري في كتابه الترغيب والترهيب وسكت عنه : ولفظه « عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح منكم اليوم صائما فقال ابو بكر رضى الله عنه انا فقال من اطعم منكم اليوم مسكينا فقال ابو بكر انا فقال من تبع منكم اليوم جنازة فقال ابو بكر انا فقال من عاد منكم اليوم مريضا فقال ابو بكر انا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل الا دخل الجنة » .

من صام اليوم قال ابو بكر انا قال من تصدق اليوم قال ابو بكر انا
قال من عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شهد اليوم جنازة قال
ابو بكر انا قال وجبت لك « يعنى الجنة : ونعيم بن سالم وان تكلم فيه
لكن تابعه سامة ابن وردان وله اصل صحيح من حديث مالك عن محمد
ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابى هريرة رضى الله عنه
« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين في سبيل الله
نودى في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة نودى من
باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد نودى من باب الجهاد ومن كان
من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعى
من باب الريان فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما على من يدعى
من هذه الابواب كلها من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الأبواب
كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم » ^(١) هكذا رواه عن مالك موصولا
مسندا عن يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك : ورواه
يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد
مرسلا : وليس هو عند القعنبي لا مرسلا ولا مسندا : ومعنى قوله « من
انفق زوجين » يعنى شيئين من نوع واحد نحو درهمين أو دينارين أو
فرسين أو قيصين : وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله
تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك : وانما اراد والله اعلم اقل التكرار

(١) خرجه البخارى في صحيحه في غير موضع : ومسلم والنسائى والترمذى :

واقبل وجوه المداومة على العمل من اعمال البر لان الاثنين اقل الجمع
فهذا^(١) كالغيث ابن وقع نفع صلب الله بلا خاق وصب الخلق بلا نفس
اذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلي عنهم واذا كان مع خلقه
عزل نفسه من الوسط وتخلي عنها فما اغربه بين الناس وما أشد وحشته
منهم: وما اعظم أنسه بالله وفرحه به وطماننته وسكونه اليه:

واعلم ان للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقا اربعة
وهم في ذلك اربعة أصناف * الصنف الأول نفاة الحكم والتعليل الذين
يردون الأمر الى نفس المشيئة وصرف الارادة فهو لاء عندهم القيام بها
ليس الا لمجرد الأمر من غير ان يكون سببا لسعادة في معاش ولا معاد
ولا سببا لنجاة وانما القيام بها لمجرد الأمر موحض المشيئة كما قالوا في الخلق
لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود اليه منه وليس
في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس في النار سبب
للأحراق ولا في الماء قوة للاغراق ولا التبريد: وهكذا الأمر عندهم
سواء لافرق بين الخلق والأمر لافرق في نفس الأمر بين المأمور
والمحذور ولكن المشيئة اقتضت امره بهذا ونهيته عن هذا من غير ان
يقوم بالمأمور صفة تقتضي حسنه ولا بالمنهى عنه صفة تقتضي قبحه:
ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة وهؤلاء غالهم لا يجدون
حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلاة والصيام

(١) اسم الاشارة راجع الى الصنف الرابع العاقل في كل وقت بالأفضل في ذلك اوقت:

والزكاة والحج والتوحيد والاخلاص ونحو ذلك تكاليف اى كانوا بها
ولو سمي مدعى محبة ملك من الملوك او غيره ما يأمره به تكليفا لم يعد
محبا له * وأول من صدرت عنه هذه المقالة الجعد بن درهم :

الصنف الثانى القدريه ^(١) النفاة الذين يثبتون نوعا من الحكمة والتعامل
لا يقوم بالرب ولا يرجع اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته
فعندهم ان العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم : وانها
بمنزلة استيفاء الأجير أجره قالوا ولهذا يجعلهم اسبحانه وتعالى عوضا كقوله
(وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ كُمُ الْجَنَّةِ أَوْ رُتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (إِنَّمَا يُوفَّى

(١) اعلم ان اول بدعة ظهرت فى الاسلام بدعة القدر وبدعة الارزاء وبدعة التشيع
والخوارج. واول من تكلم فى انقذار مبداء الجهن وهذه البدع ظهرت فى القرن الثانى والصحابه
موجودون : وقد انكروا على اهلها : ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على المنهج
الاول ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم الى ان حدثت الفتن بين
المسلمين والبقى على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع والأهواء وكثرت
المسائل والواقعات والرجوع الى العلماء فى المهمات : فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاستنباط
والنتائج وتمييد القواعد : وانتاج القضايا وانقوائد : واخذوا فى التويب والتفصيل وانترتيب
والتأصيل : فاستت فرقة المعتزلة قواعد الخلاف : ونهجت منهج الفرقة والانحراف : وكان
اول من اعتزل عن مجلس سيد اتابعين الحسن البصري واصل بن عطاء رئيس العائلة لمنزلة :
ومذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور : واهله هم الفرقة الناجية والطائفة
المرحومة التى هى بكل خير فائزة واسكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الخوض ورؤية
الحق وغير ذلك : فذهب السلف حق بين باطلين : وهدى بين ضالين : قال العلامة ابن
تيمية : مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى
الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل : ومن غير تكييف ولا تمثيل . فالمعطى يعبد
عدما : والممثل يعبد صنما : والمسلم يعبد رب الأرض والسما .

الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وفي الصحيح «انما هي اعمالكم أحصيتها عليكم ثم أوفيكُم ايَّاهَا» قالوا وقد سماها جزاءً وأجرًا وثوابًا لانه شيء يشوب الى العامل من عمله اي يرجع اليه : قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعاقب الثواب بالأعمال عوضا عليها لم يكن للموازنة معنى : وهاتان الطائفتان متقابلتان : فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء ألبة وجوزت ان يعذب الله من افنى عمره في الطاعة وينعم من أفنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة اليه والكل راجع الى محض المشيئة * والقدرية اوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب الى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد واعطائه ما يعطيه أجره على عمله احب الى العبد من ان يعطيه فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء ألبة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهوان الاعمال اسباب موصلة الى الثواب : والاعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها اذا وقعت على أكل الوجوه ان تكون شكراً على احد الأجزاء القليلة من نعمة سبحانه وتعالى فلو عذب اهل سمواته وأهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكان رحمته لهم خيراً من أعمالهم : وتأمل قوله تعالى (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ) مع قوله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل احد منكم الجنة بعمله »^(١)
 تجدد الآية تدل على ان الجنان بالاعمال والحديث ينفي دخول الجنة
 بالاعمال ولا تنافي بينهما لان توارد النفي والاثبات ليس على محل واحد
 فالمنفي بآء التثنية واستحقاق الجنة بمجرد الاعمال رداً على القدرية المجوسية التي
 زعمت ان الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنة : والباء المثبتة
 التي وردت في القرآن هي بآء السببية رداً على القدرية الجبرية الذين
 يقولون لارتباط بين الاعمال وجزائها ولا هي اسباب لها وانما غايتها ان
 تكون اماراة :

والسنة النبوية هي ان عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط
 الأسباب بالمسببات وارتباطها بها : وكل طائفة من اهل الباطل تركت
 نوعاً من الحق فانها ارتكبت لاجله نوعاً من الباطل بل انواعاً فهدى
 الله اهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه :

الصنف الثالث الذين زعموا ان فائدة العبادة رياضة النفوس
 واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى

(١) الحديث في الصحيحين . ولفظ البخاري عن ابي هريرة « قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان يدخل احدا عمله الجنة قلوا ولا انت يارسول الله قال ولا
 انا الا ان يتمدني الله بفضل ورحمة فسدوا وقاربوا ولا يتمنن احدكم الموت اما محسناً
 فلعلمه ان يزداد خيراً واما مسيئاً فلعلمه ان يستتب » . فذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعدل
 ثواب ولا عقاب بل ثبوتهما بالشرعية حتى لو عذب الله تعالى جميع المؤمنين كان عدلاً منه
 ولكنه اخبر بانه لا يفعل بل يغفر للمؤمنين ويذب الكافرين . وقد روى ابو داود وابن
 ماجه من حديث ابي بن كعب في ذكر القدر (وفيه) « لو ان الله عذب اهل سمواته
 وأرضه لمذهبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم » الحديث . والله اعلم

النفس السبعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لا لتحقت بنفوس السباع
والبهائم فالعبادة تخرجها الى مشابهة العقول فتصير قابلة لا تتقاس صور
المعارف فيها: وهذا يقوله طائفتان: احدهما من يقرب الى الاسلام
والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدوم العالم وعدم الفاعل المختار: والطائفة
الثانية من تفاسف من صوفية الاسلام ويقرب الى الفلاسفة فانهم
يزعمون ان العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة
العوائد: ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة الا بهذا المعنى فاذا حصل
لها ذلك بقى متحيرا في حفظ او راده والاستغلال بالوارد عنها: ومنهم من
يوجب القيام بالايراد وعدم الاختلال بها * وهم صنفان ايضا: احدهما
من يقول بوجوبها حفظا للقانون وضبطا للاموس: والآخر
يوجبونها حفظا للوارد وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها الى حالها
الأولى من البهيمية: فهذه نهاية اقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت
لاجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق
من هذه الطرق الثلاثة او مجموعها:

والصنف الرابع هم القائلون بالجمع بين الخلق والامر والقدر
والسبب فعندهم ان سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الالهية
ومعنى كونه سبحانه وتعالى الها وان العبادة موجب الالهية واثرها ومقتضاها
وارتباطها كارتباط متعلق بالصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم
والمقدور بالقدرة: والاصوات بالسمع: والاحسان بالرحمة: والاعطاء

بالجود : فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذى فسرناها به لغة وشرعا مصدرا وموردا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها به وعلم انها هي الغاية التي خلقت لها العباد ولها ارسلت الرسل وانزلت الكتب وخلقت الجنة والنار : وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك فى قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فالعبادة هي التي ما وجدت الخلاق كلها الا لاجلها كما قال تعالى (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) أى مهلا : قال الشافعى رحمه الله لا يؤمر ولا ينهى : وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب وهما تفسيران صحيحان فان الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى والأمر والنهى هو طاب العباد وارايتها : وحقيقة العباداة امثالها : ولهذا قال تعالى (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا) وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) فاخبر الله تعالى انه خالق السموات والارض بالحق المتضمن امره ونهيهِ وثوابه وعقابه : فاذا كانت السموات والارض انما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال انه لا غاية له ولا حكمة مقصودة او ان ذلك بمجرد استنجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة : او لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد : واذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح

الوحي علم ان الله تعالى انما خالق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع
الخضوع له والالتقياد لأمره : فاصل العبادة محبة الله بل افراده تعالى
بالحبة فلا يجب معه سواه وانما يجب ما يحبه لاجله وفيه كما يجب انبياءه
ورسله وملائكته لان محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من
دونه أندادا يحبهم كحبه : واذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها
فهي انما تتحقق باتباع امره واجتناب نهيه فعند اتباع الامر والنهي تبين
حقيقة العبودية والمحبة : ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله صلى الله
عليه وسلم علما عليها وشاهدا لها كما قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله تعالى
وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع : فعلم انتفاء
المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول : ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله
أحب اليه مما سواهما : ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهو الاشرار
الذي لا يغفره الله : قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) وكل
من قدّم قول غير الله على قول الله او حكم به او حاكم اليه فليس ممن حبه :
لكن قد يشتبه الامر على من يقدم قول احد أو حكمه او طاعته على

قوله ظنا منه انه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول الا ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيطيعه ويحكم اليه ويتلقى اقواله كذلك فهذا معذور اذا لم يقدر على غير ذلك :

وأما اذا قدر على الوصول الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسئلة معينة ولم يلتفت الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الى من هو أولى به فهذا يخاف عليه : وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم اعطاء آلة الفقه في الدين أو الاحتجاج بالاشباه والنظائر أو بان ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده صلى الله عليه وسلم فهي كلها تعللات لا تفيد : هذا مع الاقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم الا أن ينزع في هذه القاعدة فتسقط مكاملته وهذا هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقرض عرضه ودينه بلسانه وانتقل من هذا الى عقوبته أو السعى في أذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين واعلم أن العبادة أربع قواعد وهي التحقيق بما يجب الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع : فاصحاب العبادة حقاً هم أصحابها * فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وافعاله وملائكته ولقائه وما اشبه ذلك * وقول اللسان الاخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام

بذكره تعالى وتبليغ أمره: وعمل القلب كالحبة له والتوكل عليه والانابة والخوف والرجاء والاخلاص والصبر على اوامره ونواهيه واقاراره والرضاء به وله وعنه والمولات فيه والمعادات فيه والابخات اليه والطائفة ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أكد من فرض أعمال الجوارح ومستحبها الى الله تعالى أحب من مستحب أعمال الجوارح: واما أعمال الجوارح فكالصلاة والاجتهاد ونقل الاقدام الى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والاحسان الى الخلق ونحو ذلك: فقول العبد في صلواته (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) التزام احكام هذه الأربعة واقرار بها: وقوله (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) طلب الاعانة عليها والتوفيق لها: وقوله (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) متضمن للامرین على التفصيل والهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين الى الله تعالى والله الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه ووارثيه وحزبه:

تم الكتاب والحمد لله اولا وآخرا

﴿ فائدة ﴾

قد تقدم للمؤلف المقریزی كلام في حلق الرأس واجمل القول في ذلك ولما كان الحكم في ذاته فيه تفصيل أحببنا ان تذكر هنا ما اورده الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد: قال في كتاب الطب من الجزء الثاني في علاج القمل الذي في

الرأس وازالته * وحلق الرأس ثلاثة أنواع احدها نسك وقربة والثاني بدعة وشرك والثالث حاجة ودواء فالاول الحلق في احد النسكيز الحج والعمرة: والثاني حلق الرأس اغير الله سبحانه وتعالى كما يخلقها المريدون لشيوعهم فيقول احدهم انا حلقت رأسي لفلان وانت حاقته لفلان وهذا بمنزلة ان يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى انه عند الشافعي رحمه الله تعالى ركن من أركانه لا يتم الا به فانه وضع النواصي بين يدي ربها خضوع لعظمته وتذلل لعزته وهو من أبلغ انواع العبودية : ولهذا كانت العرب اذا ارادت اذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه واطلقوه : فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين اساس مشيختهم على الشرك والبدعة فارادوا من مريديهم ان يتعبدوا لهم فزينوا لهم حلق رؤسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدي الشيخ : ولعمري الله ان السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وتعالى وزينوا لهم ان ينذروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا باسمائهم :

وهذا هو اتخاذهم أربابا من دون الله قال تعالى (مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ

أَرْبَابًا أَيْ أُمُومًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) واشرف العبودية عبودية الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فاخذ الشيوخ منها اشرف ما فيها وهو السجود : وأخذ المتشبهون بالعلماء الركوع فاذا لقي بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلي لربه سواء وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الاحرار والعبيد على رؤسهم عبودية لهم وهم جالوس : وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها مخالفة صريحة له : فنهى عن السجود لغير الله وقال « لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد » وانكر على معاذ لما سجد له وقال « مه » وتحريم هذا معلوم من دينه ضرورة : وتجويز من جوزه لغير الله مراغبة لله ورسوله وهو من أبلغ أنواع العبودية فاذا جوز هذا المشرك هذا النوع اليسير فقد جوز عبودية غير الله : وقد صح « انه قيل له الرجل يلقي اخاه اينحنى له قال لا قال أيلزمه ويقبله قال لا قيل ايصافه قال نعم » وايضا فالانحناء عند التحية سجد : ومنه قوله تعالى (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) اى منحنين والا فلا يمكن الدخول على الجباه : وصح عنه النهى عن القيام وهو جالس كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً^(١) حتى منع

(١) الحديث رواه أبو داود وابن ماجه : قال الحافظ عبد العظيم المنذرى واسناده حسن ابو غالب فيه واسمه حزور ويقال نافع ويقال سميد بن الحذور فيه كلام طويل ذكرته في مختصر السنن وغيره والغالب عليه التوثيق وقد صح له الترمذي وغيره : اه : ورواه ايضا الترمذي في التمهائل : وفي مشروعية القيام للناس خلاف والصحيح التفصيل والجمع بين الأحاديث : وقد ألف الأئمام النووي في ذلك رسالة وذكرها صاحب المدخل في كتابه وتبقي في كثير منها ورد كلامه في جواز القيام فإليك بمطالعته فانه يفتيك :

من ذلك في الصلاة وامرهم اذا صلى جالسا ان يصلوا جلوسا وهم اصحاء
لا عذر لهم لنثلا يقوموا على رأسه وهو جالس^(١) مع ان قيامهم لله فكيف
اذا كان القيام تعظيما وعبودية لغيره سبحانه وتعالى :

والمقصود ان النفوس الجاهلة الضالة استقطبت عبودية الله سبحانه
وتعالى واشركت فيها من تعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت
له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلفت
لغيره وذبحت لغيره وطافت بغير بيته وعظمت به بالحب والخوف والرجاء
والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد وسوت بين من يعبد به من المخلوقين
رب العالمين .

هؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين برّبهم يعدلون وهم الذين
يقولون وهم في النار مع آلهتهم يختصمون. (تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وهم الذين قال فيهم (وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اُنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا اَشَدُّ
حُبًّا لِلّٰهِ) وهذا كله من الشرك والله لا يغفر ان يشرك به فهذا فصل
معترض في هديه في حاق الرأس ولعله اهم مما قصد الكلام فيه والله اعلم

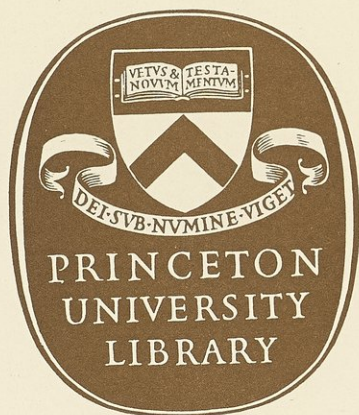
(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي الزبير عن جابر « انهم لما صلوا خلفه قعودا
قال فلما سلم قال ان كنتم انما تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا »

فهرست كتاب تجريد التوحيد المفيد

صحيفة

- | | |
|----|---|
| ٢ | حقيقة التوحيد |
| ٣ | بيان ان للتوحيد قشرين |
| ٤ | الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية |
| ٦ | ادلة الجمهور في سحر النبي صلى الله عليه وسلم وأدلة مخالفه |
| ٨ | بيان ان شرك الأمم كله نوعان |
| ١٢ | النهي عن اتخاذ القبور مساجد الخ |
| ١٣ | السجود لغير الله |
| ١٦ | تقسيم الشرك الى تعطيل وغيره واقسامه |
| ١٨ | من خصائص الالهية الكمال المطلق |
| ٢١ | عدم جواز الخضوع والتأله |
| ٢٤ | تقسيم العبادة من حيث الاستعانة |
| ٢٧ | بيان معنى الاستعانة |
| ٣٢ | افضل العبادة الاشتغال في كل وقت بما يناسبه |
| ٣٦ | للناس في منفعة العبادة طرق اربعة |
| ٣٧ | اول بدعة ظهرت في الاسلام . ومذهب القدرية والمعتزلة |
| ٤٤ | كلام ابن القيم الجوزية في حلق الراس وتفصيل ذلك وفيه فوائد كثيرة |

سرد محمد حسن
صديق الله عز وجل



Princeton University Library



32101 100042082

BP184

.M377

1924